# ماذا بعد هذه الحرب المُعلَنة على التاريخ والعقيدة، ولمصلحة من تدور رحى هذه الحرب؟

# (٢)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

# ماذا بعد هذه الحرب المعلَنة على التاريخ والعقيدة، ولمصلحة مَن تدور رحى هذه الحرب؟ (٢)

## أسلوب القنص:

مَن يعتقد أنه باقتباسٍ نصٍّ واحدٍ، أو حتى عدة نصوص، يمكنه البرهنة على فكرةٍ أو تعليمٍ، يظن أنه تعليم الكنيسة الأرثوذكسية، فليعلم أنه يوقع نفسه في وهم عظيم، ذلك لأن هناك فرقاً بين أسلوب القنص وأسلوب التعليم. التعليم له مجالٌ معروف، لمن درس التاريخ الكنسي، وهذا المجال ظاهر لمن تمكَّن من معرفة الخلفية التي جعلت أياً من الآباء يكتب مثل كتاب "الروح القدس" للقديس باسيليوس الذي يشرح فيه التسليم أو التقليد الخاص بتمجيد الثالوث، وأهمية العقيدة الخاصة بالثالوث في الليتورجيا والحياة المسيحية، أو مثل رسائل القديس أثناسيوس عن الروح القدس إلى سرابيون، أو كتابيه عن تجسد الكلمة والرسالة إلى الوثنيين، الذي يشرح فيهما التسليم الخاص بتدبير الخلاص.

أما من يلجأ إلى أسلوب القنص، فهو الجاهل الذي اكتشف أنه وقع في خطأ، واحتار في تبريره، ومن ثمَّ يحاول أن يستر عورته بالاحتماء وراء نصٍّ من هنا ونصٍّ من هناك، دون العودة إلى الخلفية التاريخية والسياق العام، والموضوع الأصلي، فيكشف بالأكثر عن جهله.

ما ينطبق على غياب الخلفية التاريخية لشرح التسليم الخاص بالثالوث كما عبَّر عنه القديس باسيليوس، أو عن الروح القدس، أو عن سر تدبير الخلاص كما عبَّر عنه

أثناسيوس، ينطبق أيضاً على موضوع الخطية الأصلية. فليس باقتناصِ نصٍّ من هنا، وتزويرِ نصوصٍ من هناك –كما يفعل مطران دمياط– يمكن البرهنة على صحة التعليم بوراثة الخطية. ولكن علينا أن نأخذ في اعتبارنا غياب الاسم نفسه "الخطية الأصلية"، وغياب فكرة "الوراثة" نفسها، التي تتم بواسطة الزواج، وقبل هذا وذاك، كيف شرح القديس أثناسيوس نفسه السقوط، فهو لا يتكلم عن آدم إلا قليلاً، واعتبر القصة كلها قصةً رمزيةً (راجع الرسالة إلى الوثنيين، الفصل الأول)، ولذلك فهو يتحدث بصيغة الجمع. وأكد أن الموت –كما سبق وشرح– هو سبب الخطية. وأن بعد السقوط، صار الموتُ هو المحرك لكل شهوات الإنسان، لذلك توغَّل الإنسانُ في الشرور بحثاً عن الخلود.

هذا هو تعليم الشرق الأرثوذكسي الذي هُجِرَ في زمان انقطاع التواصل مع تعليم الآباء بعد أن فقدنا اللغة اليونانية.

## الصورة الكاملة لأي موضوع خاص بالعقيدة

إذن، يجب أن تكون لدينا صورة كاملة عن التسليم الخاص بأي موضوع عقيدي، وإلا وقعنا في المحظور. وعلى سبيل المثال، إذا ذكر أحدهم أن تجسد الله الكلمة كان بسبب "تعدِّي آدم"، فإنه بذلك يكون –عن جهلٍ– قد حذف صلاح ومحبة الله، كسبب من أسباب التجسد، وبالتالي صارت الصورةُ ناقصة، رسمت فيها الكلمات صورتنا نحن التي يحركها الرعب والخوف والشعور بالذنب.

والحرب التي تدور الطاقة والأقنوم والجوهر، إنما هي تستعر بسبب أنها تدور في فراغ جهل مطبق غابت عنه الصورة الكاملة. فاتحاد اللاهوت بالناسوت في المخلص الواحد، وتبادل الصفات في المتجسد، هو ما يجعل الحديث أو الخطاب عن نوال طاقة بدون الأقنوم بمثابة إنكارٍ تامٍ لتجسد ابن الله. ولأن الحرب والهذيان أفقدت المحاربين الاتزان، نضع هنا النقاطَ فوق الحروف:

**١–** ما هو الشر أو الخطأ الذي يريد المحاربون أن يقاوموه؟ هل هو الاتحاد بالمسيح حسب (رو ٦: ١–٨)، أي اتحادنا بالرب في المعمودية؟ أليس هذا هو اتحادٌ بشخص الرب، وهو مصدر قوة بولس: "مع المسيح صُلبت"؟ فهو لم يُصلب مع طاقة أو قوة، بل مع الرب نفسه. وعندما يقول: "أحيا لا أنا بل يحيا المسيح فيَّ"، فالمسيح ليس طاقةً، بل هو ابن الله. وإذا تحول المسيح ابن الله –بقدرات المطران– إلى طاقةٍ، فليعلم أن هذا أشر من الأريوسية؛ لأن حتى أريوس، احتفظ بشخص الرب كإله، رغم إنكاره أنه من جوهر الآب. فهل المطلوب ألاَّ تكون لنا شركة شخصية في الابن (لا شخصية Impersonal)؟

**٢–** هذه الحرب المستعرة على أقنوم الابن، جعلتني أعود إلى الكتابة[١]؛ لأن الطاقة ليست فقط فكرة غامضة تهدم أعمال الرب الشخصية، بل هي أيضاً محاولة شيطانية تهدف إلى هدم كل ما أخذناه ونأخذه من المسيح بالروح القدس؛ لأننا لا نأخذ من طاقةٍ هي المسيح يسوع، وبواسطة طاقة هي الروح القدس؛ لأننا عندما نرى "مجد الله في وجه يسوع المسيح" (٢كو ٤: ٦)، نجد أن الرسول سبق أن كتب قبل هذه العبارة أننا نرى مجد الرب وأننا **نتغير إلى صورة الرب**، وليس إلى طاقة "تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١١). الصورة الكاملة هنا غابت؛ لأن القنص لم يسمح بالعودة إلى "صورة الله"، العطية الإلهية التي كانت ولا تزال سبب شركتنا في صورة الآب يسوع المسيح. هكذا صار كل شيء بلا شركة شخصية، غامضاً تماماً.

**٣–** لقد تسبب الشر في تزييف كيان الإنسان، ودخل مع الشرِّ، الغموضُ، غموضٌ له اسمٌ مخيف، هو الموت. هذا الغموض مصدره انغلاق العقل والوعي على الذات. والذات التي تترك الله تتوه عن ذاتها، عندئذٍ تضطر هذه الذات إلى خلق "هويةٍ" أو "صورةٍ" لها، فإذ بها ليست صورة الله، بل صورة الذات الساقطة.

---

(١) راجع كتابنا بعنوان: الطبيعة والجوهر والقوة الأقنومية لأقانيم الثالوث الواحد، القاهرة، ٢٠١٤.

هكذا، من غموض الشرِّ إلى غموض الطاقة، يدخل هلاك الإنسان.

**٤-** كانت الليتورجيا ولا تزال -عند أبي الرجل العظيم القمص مينا المتوحد - قداسة البابا كيرلس السادس- هي مدرسة اللاهوت. ولكن للأسف لم نلتفت إلى ذلك، بل اكتفينا بأن نهيل عليه تراب الخوارق من المعجزات، وتركنا أعظم ما في حياته: الصلاة الدائمة. هذا لا ينفي المعجزات، ولكن قنص المعجزات، والاكتفاء بها للطعن في التعليم بمقولة أن الرجل كان بسيطاً وغير متعلم، أضاعت علينا صورة ومسلك رجل الصلاة. وهكذا ظهرت وقاحة القنص في سلوك العظمة والأبهة وإضفاء الألقاب التي لا معنى لها وجعلوا من كل ذلك الصورة الحديثة لما يجب أن يكون عليه الأسقف، وبالتالي غابت صورة مَن كان يصلي كل يوم عشية - نصف الليل - باكر، ثم القداس .. غابت تلك الصورة؛ لأن غياب الصلاة هو غياب القوة التي تعيد الإنسان إلى الله وإلى ما في كُتب الكنيسة من تعليم.

ولعلنا هنا نكتفي بما سُلِّم في الليتورجيا:

أ) هل نحن نستدعي طاقة الروح القدس أم أقنوم الروح القدس؟ إذا كانت صلواتنا لطاقةٍ؛ لَصارت الطاقةُ هي الإله الجديد الذي جاء به مَن ترك التسليم!!!

ولكن، قد يقول شيطانٌ صغير، نحن فعلاً نستدعي الروح القدس الأقنوم، ولكن الروح لا يعمل إلا في صورة طاقة، أما هو ذاته كأقنوم، فهو لا يحل على المذابح .. فكرةٌ تبدو براقةً وسهلةً، ولكنها كالسُّمِ في العسل؛ لأنهم عن جهلٍ، وربما عن خوفٍ، لا يريدون استعلان شخص الثالوث، بل قوَّته فقط، وهذا هو أحطُّ ما جاءت به الوثنية القديمة؛ لأن آلهة العالم القديم كانت قوى غيبية، لها قدرات وطاقات تحدثت عنها الأساطير، وذكرها معلمنا أثناسيوس في كتابة (الرسالة إلى الوثنيين)، عندما تحدث عما فعلت الوثنية بالبشر، عندما جعلتهم يطلبون القوة، وعلمتهم الاغتصاب الجنسي، والوقاية من الشر بالبحث عن أيام السعد وتجنب أيام النحس، إلى غير ذلك من ضلال وأضاليل. أما بالنسبة لنا، فإذا تحول عمل الروح القدس من فعل الأقنوم إلى

مجرد طاقة، وجدنا أنفسنا في غير "شركة الروح القدس"، بل شـــركة في طاقـــة. وإذا أمعنَّا النظر في كلام الجهل السائد بهذا الخصوص على لسان المطران واتباعه، لوجـــدنا أن تخرصاتهم تلك، أقل كثيراً من مستوى كلام الوثنية القديمة؛ لأن الوثنيين القـــدامى كانوا -على الأقل- يبحثون عن طاقات وقوى معينة لخدمة الأغراض الشخصية مثـــل الإنجاب أو النصر في الحروب، أما الوثنيون المحدثون، فما هو دور الطاقة عندهم؟ أليس تناول جسد الرب ودمه، هو شركة في "حياة وموت وقيامة الرب"، وأن هـــذه هـــي حياته الشخصية التي قدمها لنا في سر الشكر بالذات؟

ب) كيف نفهم اتحاد زيجة الرب بالكنيسة في إطار التسليم الرسولي (أفســـس ٥: ٢٨ – ٣١)؟ هل محبة الرب للكنيسة هي محبة طاقـــة لطاقـــة، أم محبـــة أقنـــوم لأشخاص، أي محبة شخص لأشخاص؟ وإذا كان الاتحاد يعني أن "يكون الاثنان جسدا واحدا"، فهل يجوز لنا أن نترك هذا الاتحاد الكياني الذي جعـــل الكنيســـة "جســـد المسيح"، والذي فيه أخذ كل إنسان موهبةً مختلفةً، فصار مثل عضو مع باقي الأعضاء في الجسد الواحد؟ هل ننفي كل ذلك لأن شيطاناً صغيراً قال إن اخـــتلافَ المواهـــب دليلٌ على أن ما يعطى، ليس هو الروح القدس، بل قوى وطاقات؟!!!

هذه سخافةٌ فعلاً؛ لأن التنوع الذي يوزِّعه أقنوم الروح القدس، هـــو الـــذي يحفظ وحدة الجسد، إذ يصبح كما يقول الرسول نفسه: وحدانية الـــروح – جســـد واحد – روح واحد – لأننا دعينا إلى رجاء دعوة واحدة: "ربٌّ واحد إيمانٌ واحـــد معموديةٌ واحدة"، هذه الدعوة تجد أساسها في إلهٍ وآبٍ واحدٍ للكل، الذي على الكل (في الابن) وبالكل وفي الكل (بالروح القدس) (أفسس ٣: ٤-٥).

يتبع ،،،

د. جورج حبيب بباوي